السمان، وسميرة المانع وآمال مختار ورضوى عاشور ورجاء عالم إضافة إلى مي زيادة وسحر خليفة، خصيصاً لرصد إحالات الضمائر عندهن فاتضحت سيطرة الضمير المذكر في كل حالة تجريد. وها هي غادة السمان تقول كلمة الأنوثة بضمير الذكورة تقول: (ما أروع وما أسوأ أن تكون امرأة)[16]، وكان سياق الجملة ومنطق الإحالة يقتضي منها أن تحيل إلى التأنيث فتقول: أن تكوني. وهنا يأتي التذكير في غير محله وفي غير مقتضاه، مثلما حدث عند سميرة المانع حيث نرى (منى) بطلة النص تتكلم عن علاقاتها بصديقاتها وجاراتها، وفي وسط هذه القبيلة النسوية يأتي الضمير المذكر بوصفه (شخصاً) ليدير وجه اللغة من الأنوثة إلى الذكورة (الثنائية اللندنية ـ 41). وكأن المرأة لا تحسن الكلام عن ذاتها إلا إذا فكرت في هذه الذات بوصفها ذكراً. ولذا فإن أهداف سويف لم تجد مفراً من أن تصب أنوثتها في قالب الإنسان المذكر لتدخل ذاتها في السياق الذكوري للغة [17].

لذا تأتي مقولة (الأنثى هي الأصل) على لسان المرأة لتكون خطاباً عائماً على سطح اللغة، أما ضمير اللغة وباطنها فيظل رجلاً فحلاً. ولئن وجدت المرأة راحتها التعبيرية على هذا السطح إلا أنها تفقد قدرتها على التنفس إذا ما غاصت في أعماق اللغة، ولذا تستنجد بأوكسيجين اللغة المذكر لكي تجد طريقها في مسارب الخطاب ومغاور التعبير.

هي أصل ولكنها تظل تضع نفسها في الفرع وترضى بكونها فرعا كما نجد عند نازك الملائكة التي تعلن اعتراضها على الشاعر علي محمود طه لأنه وضع عنواناً لقصيدة من قصائده كالتالي: (هي وهو:

(16) غادة السمان: عيناك قدري 12، منشورات السمان، بيروت 1977 وانظر كتابها (حب) 32,34,35، منشورات السمان، بيروت 1980.

(17) مقابلة صحفية مع أهداف سويف، مجلة (الشرق الأوسط) ص 31 العدد 405 في 30/3/1994.